تطبيقات التفسير العلمي للقرآن الكريم
الإعجاز الكوني

م.م. محمد هاشم جبار العوادي

مديرية تربية ذي قار / شعبة البحوث والدراسات

mohammedalmuswi4@gmail.com

الملخص:

"تطبيقات التفسير العلمي للقرآن الكريم" يستكشف العلاقة بين الإعجاز الكوني في القرآن والعلوم الحديثة. يؤكد المقدمة على أهمية فهم الكون لإدراك عظمة الخالق، مقسمًا البحث إلى مقدمة، تمهيد، مبحثين، وخاتمة. يعرض التمهيد القرآن كمصدر علوم ومعارف، مؤكدًا على دور العقل والحواس في استيعاب آياته الكونية.

المبحث الأول يتناول مفاهيم التفسير اللغوية والاصطلاحية، العلم في القرآن، ومفهوم الكون لغويًا واصطلاحيًا. المبحث الثاني يركز على موضوعات الآيات الكونية مثل تعاقب الليل والنهار، خلق السماوات والأرض، إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها، مدّ الأرض وتسخيرها للإنسان.

يبرز البحث دلالات الآيات الكونية على قدرة الله، عظمتها، وضعف الإنسان أمام عظمة الخلق. يستعرض آيات النجوم وغيرها من الآيات الكونية كمؤشرات على الإعجاز العلمي في القرآن، والتي تتضمن أحداث الآخرة وحقائق كونية مثل انكماش الأرض.

الكلمات المفتاحية: (تطبيقات التفسير، الإعجاز الكوني).

Applications of scientific interpretation of the Holy Quran Cosmic miracle

Muhammad Hashem Jabbar Al-Awadi

Dhi Qar Education Directorate / Research and Studies Division

mohammedalmuswi4@gmail.com

Abstract:

Applications of Scientific Interpretation of the Holy Qur'an" explores the relationship between the cosmic miracle of the Qur'an and modern science. The introduction emphasizes the importance of understanding the universe to realize the greatness of the Creator, dividing the research into an introduction, a preface, two sections, and a conclusion. The introduction presents the Qur'an as a source of science and knowledge, emphasizing the role of the mind and senses in comprehending its cosmic verses.

The first section deals with the linguistic and terminological concepts of interpretation, science in the Qur'an, and the concept of the universe linguistically and terminologically. The second section focuses on the topics of the cosmic verses, such as the succession of night and day, the creation of the heavens and the earth, the sending of rain and the revival of the earth after its death, the extension of the earth and its subjugation to man.

The research highlights the implications of the cosmic verses on God's power, its greatness, and man's weakness in the face of the greatness of creation. He reviews the star verses and other cosmic verses as indications of the scientific miracle in the Qur'an, which includes afterlife events and cosmic facts such as the Earth's contraction.

Keywords: (interpretation applications, cosmic miracle).

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين:

وبعد:

فما أحوجنا إلى أن نتعرف على الكون وما فيه حتى نتعرف على عظمة الخالق؛ إذ إنّ عظمة المخلوق من عظمة خالقه القدير العليم، ومن هنا جاءت ومسوغات هذا البحث: (تطبيقات التفسير العلمي في القرآن الكريم الإعجاز الكوني)، كشعاع خافت أمام عظمة الخلق وجلال الخالق من أجل أن نلمّ بشيء مما سمح به الله تعالى للعلماء أن يعلموه ويدركوه عن خلقه البديع فهم لا يعرفون إلا إذا شاء الله سبحانه مصدقا لقوله عزّ وجلّ تعالى: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾(سورة البقرة:٢٥٥) ، وبذلك ندرك أنّ الكون عظيم وندرك فوق ذلك أن الخالق أجل وأعظم ونوقن بجلال الله وكماله ونؤمن بقدرته وعظيم سلطانه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم على تمهيد ومبحثين يسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة تليها قائمة بأسماء مصادر البحث ومراجعه، وأما المبحثان فهما:

المبحث الأول: مفاهيم عنوان البحث.

المبحث الثاني: الموضوعات التي كانت محور الآيات الكونية.

أرجو أن تكون هذه الأوراق سجدة طاعة وحمدا لربّ العالمين خالق الكون العظيم وهو الهادي إلى سواء السبيل، شاكراً جميع اساتذتي لما قدموه لي من توعيه وارشاد في مسيرتي العلمية.

يعدّ القرآن الكريم منبع العلوم ومصدرها، ومعين المعارف وموردها، فهو أساس كل علم، وأصل كل فن ووحي الله الخالد، ونوره المبين الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه، ولا يخِلق من كثرة

الرد، ما ولج عبابه الزاخر باحث إلا عرف من نوادر لآلئه وعجائب فرائده، وما أرجع فيه ناقد بصره خاسئا وهو حسير، كيف لا وهو الكتاب الذي أحكم من لدن حكيم خبير، وفصل من لدن سميع بصير، يقول السيوطي(ت٩١١هـ): ((فإنّ العلم بحر زخار، لا يدر له من قرار، وطود شامخ، لا يسلك إلى قننه ولا يصار، وإن كتابنا لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه علم كل شيء، فترى كلّ ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد))

و تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾[١]، وليس من عاقل يغفل مكانة هذه الآيات وأهميتها في القرآن الكريم، فهي تستحث العقل على التفكير والتدبر، وتستقطب انتباه الحواس لتأمل مظاهر قدرة الله في الكون وعجائب صنعه، مما يولد لدى الإنسان يقينا بحتمية وجود خالق عظيم، خلق فأبدع، ونظّم فأمتع، وصنع فأجاد، ومن هنا كان علينا أن نقف عند هذه ألآيات وقفة المتأني، وأن نمعن في حروفها إمعان المتفحص الذي يولي اهتماما كبيرا لدقائق الأمور، لا أن نمرّ عليها مرورا سريعا دون أن نلتفت إلى ما فيها من مغزى عميق.

وعلى الرغم من أن الله تعالى طلب منا أن نتأمل هذا الكون، ونتفكر في كل ما انطوى عليه من مظاهر بكلمات نحو: (قل سيروا، وقل انظروا، أفلا تعقلون، تتفكرون، توقنون) إلى غير ذلك، ((فإنه سبحانه زودنا بمفاتيح تعيننا على ولوج هذا العلم التأملي، فوهبنا العقل الذي يعدّ أهمّ هذه المفاتيح، ومنحنا حواس إنْ استخدمت بطريقة صحيحة، كانت لنا خير معين، ولاشك في وجود علاقة وثيقة بين الحواس وعملية التفكير، فليست الحواس سوى مداخل لعالم التفكير، نصل بوساطتها إلى الخالق عزّ وجلّ، فالغاية من السمع والبصر، إدراك الأرض الخارجية، والشاهدات الحسية))[٢]؛ ولأنّ الكون بما أودع الله فيه من مخلوقات وذرا فيه من دواب وكائنات وأبدع فيه من موجودات هو كتاب الله المنظور المرئي لكل الناس، والمفتوح لكلّ ناظر متمعن معتبر أنّى التفت فيه إلى مشهد نظرت إلى صفحة من هذا الكتاب، وأنّى وقعت عينك على منظر صافٍ بديع، فإنما وقعت على

صفحة أخرى منه، وكذلك القرآن الكريم فهو كتاب الله المسطور المحفوظ بين دفتي المصحف، ولأنّ خالق الكون ومنزّل الكتاب المسطور هو الله، ولأنّ من أُزل عليه الكتب وسخر الكون لخدمته هو الإنسان، فإننا نجد هذه المساحة المشتركة الواسعة بينهما في شكل الآيات الكريمة، فالجانب الكوني في آيات القرآن الحكيم جانب مهم جدا، لأنه عماد الدلائل الإلهية على وجود الله تعالى، وتوحيده وباهر قدرته، وواسع علمه(٣).

ولابد من ألإشارة إلى أن حواس الإنسان الخمس تتناسب مع العالم الخارجي الذي يعدّ إنسانا كبيرا، فحاسة اللمس تتناسب مع طبيعة الأرض، وحاسة الشم تتناسب مع رائحة الهواء، وحاسة الذوق تتناسب مع طعم الماء، وحاسة البصر تتلاءم مع طبيعة النار والنور، وحاسة السمع تتلاءم مع الفلك، ذلك أن حاسة السمع ومحسوساتها كلها روحانية(٤).

ومما لاشك فيه أن دورا بارزا في عملية التفكّر، لذلك نجد له حضورا متألقا في معظم الآيات الكونية؛ لأنّ ((القرآن الكريم دستور الإسلام يوجه العقل الإنساني بكل ما منحه الله من قوة وجبروت إلى النظر في ملكوت الله ليكشف حقائق الكون، ويرفع الحجب عن أسراره، وكلما عظم شأن الكون عظم في نظر المؤمنين جلال المكون الخلاق العظيم))(٥).

المبحث الأول

مفاهيم عنوان البحث

١. التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير لغة: أصله من الفسر، وهو الإبانة وكشف المغطى أو هو كشف المراد عن اللفظ المشكل(٦)، أو إظهار المعنى المعقول(٧). فالتفسير لغة هو كشف المغلق من المراد بلفظه،وإطلاق للمحتبس عن الفهم به(٨).

أما التفسير اصطلاحاً: فإنّ التعريفات الاصطلاحية للتفسير تختلف باختلاف الآراء في تحديد ما يندرج تحته، إذ عرّفه الزركشي(ت٧٩٤هـ) بأنه: ((علم نزول الآيات وشونها أقاصيصها والأسباب

النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها، وحلالها وحرامها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها))[٩].

وعرفه أبي حيان (ت٧٤٥هـ) بأنه ((علم يبحث عن كيفية النطق بالألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك))[١٠].

وقد عرّفه بعضهم بأنه ((علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد j وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه))[١١]. أو هو ((علم يبحث عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية))[١٢].

٢. العلم في القرآن الكريم:

العلم أصل واحد يدلّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، والعلم نقيض الجهل ويعني: ((اليقين وجاء بمعنى المعرفة أيضًا كما جاءت بمعناه وضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل وقد يضمن معنى "شعر" فتدخل الباء فتقول: علمته، وعلمتُ به))[١٣].

أما تعريف العلم اصطلاحا فهو ((الطريق إلى معرفة وهو الجهد البشري لإدراك الدور المفوض له"الذي هو الدين" كلما ازداد العلم ازداد الدين))[١٤].

أما التفسير العلمي فهو الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن الكريم ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية، وهذا هو تعريف الأستاذ أمين خولي[١٥] الذي تابعه عليه جماعة من العلماء[١٦].

٣. الكون في اللغة والاصطلاح:

الكون في اللغة: الحدث، وقد كان كونا وكينونة عن اللحياني وكراع، والكينونة في مصدر "كان يكون" أحسن قال الفراء (ت٢٠٧هـ): ((تقول العرب في ذوات الياء معايشة زغت وسرت طرت طيرورة وحدث حيدوثة فيما لا يحصى من هذا الضرب))[١٧].

وعرفه ابن فارس (ت٣٩٥هـ) بقوله: ((كون الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن

حدوث شيء إما في زمان ماضٍ أو زمان راهن، يقولون: كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر))[١٨]، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ**﴾[١٩].

وعرّفه أحمد بن محمد الفيومي بأنه: ((كان زيدٌ قائما أي وقع منه قيام وانقطع وتستعمل تامة فتكتفي بمرفوع نحو: كان الأمر، أي حدث ووقعوان حصل، وقد تأتي بمعنى صار وزائدة كقوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ**﴾[٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[٢١]، أي من هو والله عليم حكيم، والمكان يذكر فيجمع على أمكنة وأمكن قليلا ويؤنث فيقال: مكانه والجمع مكانات، وهو موضع كون الشيء وهو حصوله))[٢٢].

الكون في الاصطلاح: هو مفهوم كلامي ثم تأويله بطرق شتى وفقا لنظريات مختلفة ومتعددة واحد الاتفاقات القليلة حول ماهية الكون من بين النظريات العدة المعتمدة من قبل الفلاسفة وغيرهم، وإن الكون يدل على الحجم النسبي لمساحة الفضاء: (الزماني والمكاني) الذي يتواجد فيه كل شيء ومن الموجودات، كالنجوم والمجرات والكائنات الحية[٢٣].

يبدو لي أن الكون هو ذلك الفضاء المحيط بالأرض الذي يضم عدد هائل من المجرات والنجوم والكواكب وغيرها من الأجرام السماوية التي تسبح في الفضاء، وهو ما عرّفه آخر بأنه: ((مجموع الموجودات الكائنة من مختلف صور المادة والطاقة والزمان والمكان وما تتشكل عليه من كافة الجمادات والأحياء ولما كان ذلك يشمل حيزا كبيرا من المعارف الإنسانية))[٢٤].

المبحث الثاني

الموضوعات التي كانت محور الآيات الكونية

١. تعاقب الليل والنهار:

التعاقب لغة: التداول، وكذلك الاعتقاب، وهما يتعاقبان إذا جاء هذا وذهب هذا، والليل والنهار عقيبان، كل واحد منهما عقيب صاحبه[٢٥]،وتعاقب الليل والنهار يعني انتفاء الديمومة عن أحدهما، فلو كان الليل سرمدا أو النهار لفسدت وتعطلت موازينها، فالإنسان بحاجة إلى وقت للراحة كما هو بحاجة

إلى وقت للعمل، يقول الشعراوي: ((فأنت أيها المتحرك في الكون ينطبق عليك على كل متحرك، لابد لك من سكون بقدر حركتك، ولذلك انقسم الزمان على ليل تسكن فيه ونهار تتحرك فيه))[٢٦]، قال تعالى:﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾[٢٧].

والسؤال: هل الشمس ثابتة؟ الجواب: لا. دلّ الرصد على أن الشمس تسبح في الفضاء متنقلة بين النجوم والشموس. وسرعتها قدرته (بثلاثين كيلومتر في الثانية الواحدة) وهي متجهة نحو أحد النجوم المعروف باسم (الجاثي على ركبتيه) مصحوبة بسياراتها. وعلى هذا يكون مدار الأرض حول الشمس حلزونياً لا اهليجياً.

والشمس في حركتها السنوية تمر بما يسمى البروج وهي المناطق الممتدة على جانبي الشمس. وقد قسمها الفلكيون إلى اثني عشر قسماً كل منها سمي برجاً والشمس في كل شهر تمر ببرج[٢٨].

وقال تعالى:﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ *وَخَسَفَ الْقَمَرُ *وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾[٢٩].

تعبر هذه الآية عن فزع الإنسان من هول علامة من علامات تدمير الكون، فجمع الشمس والقمر أصبح حقيقة علمية الآن، لأنه ثبت بقياسات دقيقة للغاية أن القمر (الذي يبعد عنا في المتوسط حوالي ٤٠٠ألف كم) يتباعد عنا بطريقة مستمرة بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، هذا التباعد سيدخل القمر في وقت من الأوقات في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه الشمس.

وهذه من النبوءات العلمية المبنية على استقراءات كونية وحسابات فلكية دقيقة، فالقمر باستمرار تباعده عن الأرض لابد وان يؤدي به هذا التباعد في يوم من الأيام المستقبلية إلى أن تبتلعه الشمس: ولكن متى سيتم ذلك؟ هذا في علم الله؛ لأن الآخرة لها من سننها وقوانينها ما يغاير سنن الدنيا، لكن من رحمة الله . تعالى . بنا انه يترك لنا في الدنيا ما يؤكد على إمكانية حدوث هذه الواقعة في الآخرة.

فالقرآن الكريم يقول:﴿ **وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**﴾[٣٠] كيف يجمعان؟ يأتي العلم التجريبي ليؤكد أن القمر يتباعد عنا بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، فيدخله هذا التباعد في نطاق جاذبية الشمس في لحظة من اللحظات فتبتلعه الشمس، وهذا بداية تدمير النظام الكوني الذي ينافيه. فبداية التدمير أن يجمع الشمس والقمر وهي نبوءة عظيمة لهذا الكتاب العظيم، تشهد بأنه كلام الله الخالق، علام الغيوب كما

تشهد بالصدق لهذا النبي الخاتم k الذي وصفه ربنا . تبارك وتعالى . بقوله:﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى *عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾(٣١).

٢. خلق السماوات والأرض:

السماء سقف يظللنا قائم في الهواء بلا عمد يسنده، ولا دعائم تثبته، خلقها الله تعالى وجعلها مرتفعة عن الأرض، فهناك قوة غير مرئية بالنسبة لنا تمسك هذه السماء وتمنعها من السقوط، يقول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾(٣٢).

أما الأرض فهي تلك الذرة السابحة في فضاء الله، العائمة في ملكوته، ضمن مسارات لا ينبغي لها تجاوزها هي وبقية الأجرام السماوية، فالله تعالى قدر لها حركته، كما قدر لبقية الأفلاك مسارها، فكل سابح في فلكه، وكلٌ يسير وفق نظام مقدر، وديناميكية محددة، قال تعالى: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(٣٣)، يقول سيد قطب: ((وهذه الأرض الواسعة العرضية بالقياس إلى البشر، وهي ذرة أو هباءة، بالقياس إلى النجوم الكبيرة، ثم بالقياس إلى هذا الفضاء الذي تتوه فيه، تتوه لولا القدرة التي تمسك بها وتنتظمها في العقد الكوني الذي لا يتوه فيه شيء))(٣٤).

وقد أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى: (في فلك يسبحون)، قال: ((يدورون في أبواب السماء، كما تدور الفلكة في الغزل وأخرج أبو الشيخ عن الحسن البصري قال: إذا غربت الشمس دارت في فلك السماء مما يلي دبر القبلة، حتى ترجع إلى المشرق الذي تطلع منه، وتجري في السماء من شرقها إلى غربها، ثم ترجع إلى الأفق مما يلي إلى دبر القبلة إلى شرقها، كذلك هي مسخرة في فلكها وكذلك القمر))(٣٥).

وربما كان هذا البحث لا يدور في فلك الأبحاث العلمية البحتة، ولو كان كذلك لطال الحديث عن ماهية الأرض وطبقاتها ومكوناتها، وعناصرها وأجزائها وأقطابها وخواصها، إلا أن موضوع البحث يقيدنا بعض الشيء.

قال تعالى:﴿ **مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾(٣٦). بمعنى أن قضية الخلق . خلق الحياة . خلق الإنسان . لا يمكن أن تخضع للإدراك أو للمشاهدة المباشرة من أي من الجن أو الإنس؛ ولذلك لا يستطيع أي علم تجريبي، بل أي إنسان أن يتعدى فيها مرحلة التنظير، فلا يمكن لعالم يحترم نفسه أن يقول: نعم، هكذا خلق الله الكون، أو هكذا سيفنى الكون أو هكذا سيعاد خلق الكون فهذه القضايا لا تخضع للإدراك المباشر للعلماء؛ ولذلك لا يستطيع العالم التجريبي أن يتجاوز فيها مرحلة التنظير.

ولكن يبقى للمسلمين في مجال الخلق . خلق الكون . خلق الحياة . وخلق الإنسان . منارات علي الطريق في كتاب الله أو في سنة رسوله k، ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن الكريم وبالسنة المطهرة للعلم، وليس العكس. ويبقى سبق القرآن الكريم في الاشارة إلى نظرية بعينها، من صور الإعجاز العلمي في كتاب الله، ويكون السبق في ذلك للقرآن الكريم وليس للعلماء التجريبيين.

وقوله تعالى:﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾((٣٧))، انظر إلى الصياغة المصدرية الراقية باسم الفاعل "الموسعون" التي تشير إلى اتساع الكون منذ نشأته والى استمرارية هذا الاتساع إلى وقتنا الراهن، والى أن يشاء الله تعالى، هذا الاتساع دفع العلماء إلى القول الصحيح بان إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلابد وان تلتقي مادة الكون المنظور في جرم واحد.

وهذا الجرم لابد وان تكون كل من الكثافة والطاقة فيه عالية للغاية (تتوقف عندها كل قوانين الفيزياء المعروفة) تجعله في حالة حرجة، ينفجر هذا الجرم بأمر الله تعالى ويتحول إلى غلالة من الدخان، يخلق من هذا الدخان الأرض وباقي أجرام السماء.

هذه أكثر النظريات قبولاً الآن عن نشأة الكون، وتسمى "نظرية الانفجار العظيم" ومما يدعمها اتساع الكون الآن، ومما يدعمها كذلك درجة الحرارة الثابتة على أطراف الجزء المدرك من الكون، والتوزيع الحالي للعناصر المختلفة في صفحة الجزء المدرك من الكون، وتصوير الدخان الكوني على أطراف هذا الجزء المدرك(٣٨).

وقوله تعالى:﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾(٣٩)، انظروا إلى روعة التعبير القرآني:﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ يعني أن عملية خلق

الكون تستعيد نفسها تماماً بأمر الله تعالى فسوف يعود الكون في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى إلى جرم عالي الكثافة ينفجر، يتحول إلى غلالة من الدخان يخلق من هذا الدخان ارض غير الأرض وسموات غير السماوات.

إنّ علماء الفلك بعد أن اثبتوا توسع الكون في النصف الأول من القرن العشرين، قال أن هذا التوسع لا يمكن أن يستمر إلى ما لانهاية بل لابد وان يأتِ وقت تتناقص فيه عملية الدفع إلى الخارج، والتي نتجت عن عملية الانفجار العظيم، ويؤدي ذلك التناقض إلى تغلب قوى الجاذبية فيبدأ الكون في الالتمام على ذاته حتى تتكدس كل مادة الكون وطاقته كما يتلاشى كل من المكان والزمان في جرم متناهٍ في الصغر حتى ليكاد أن يقترب من الصفر أو العدم، شبيه تماماً بالجرم الابتدائي الأول الذي انفجر فخلق منه الكون، ويسمون تلك العملية باسم عملية "الانسحاق الشديد" والآية القرآنية الكريمة رقم ١٠٤ من سورة الأنبياء تصف ذلك وصفاً إجمالياً غاية في الدقة والإحكام والإيجاز فالعرب كانوا قديماً يكتبون العقود والمواثيق والعهود في ورقة ثم يطوونها، وهذا هو طي السجل لما هو مكتوب، وعملية الانسحاق الشديد هي عملية مشابهة تماماً لعملية طي السجل للكتابة المرونة فيه(٤٠).

٣. إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها:

يعدّ المطر من أعظم آيات الله الخالدة ونعمة المشاهدة فهو نعمة أبلغ وأظهر من أن يماري فيها أحد، تلك الرحلة المعجزة بين السماء والأرض، والحياة والموت، والبحار واليابسة، والسيولة والتبخر، وما يترتب عليها من حركتها بين عوالم مختلفة، وما ينتج عنها كيف لا وهي تتعلق بأخص مكنونات الحياة، وما استودعه الله فيها من سر إنه ماء الحياة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾(٤١).

ويرى باحث معاصر أن الماء حي يكتسب حياته من حركته المستمرة حيث يقول: ((والماء حي، ذلك أنه سبب الحياة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ**﴾، ولا يسبب الحياة إلا حي، وهو لذلك دائم الحركة، لأنّ التبخر حركة مستمرة تتم في كل الأحوال الطبيعية، ودورة الماء من البحر إلى السماء إلى الأرض، وجريه في الأنهار والينابيع دليل قاطع على تلك

الصفة فيه))[٤٢].

٤. مدّ الأرض وتسخير كلّ ما فيها لخدمة الإنسان:

لو شق أحدنا طريقه في الأرض، وسار بقدر ما يشاء لوجدها ممتدة أمامه، تترامى بقاعها مد بصره، وهذا مل يشعرنا باتساعها، ومن رحمة الله بنا أنه جعل الأرض ممتدة لا مائلة، فسيحة منبسطة لا كروية كما هي في أصل تكوينها، يقول تعالى: ﴿**وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ**﴾[٤٣]، ووضعها تعني: أسرعها، وخفضها وأذلها[٤٤]، وكلها معانٍ منطبقة على الأرض، فهي ممتدة ومستوية، وهي معاش للإنسان وفراش له، إضافة إلى قدرتها على الحركة والإسراع دون أن نشعر بها وذلك من خلال دورانها حول الشمس وحول نفسها.

والتسخير: مصدر من سخّر بمعنى ذلل، وتسخير السماوات والأرض والقمر والنجوم هو انتفاع البشر بها في بلوغ منابتهم، والاقتداء بها في مسالكهم[٤٥]، يقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[٤٦].

٥. تصريف الرياح:

الرياح واحدتها ريح، وهي نسيم الهواء، ونسيم كل شيء وهي مؤنثة،وجمع الريح أرواح، وجمع الجمع أراويح، وقد حكيت أرياح، وعن سيبويه(ت١٨٠هـ): ((الريحة: طائفة من الريح))[٤٧].

وتصريف الرياح من الأمور المعجزة التي لو دققنا فيها لأدركنا عظمتها، فتسيير الرياح ليس بالأمر اليسير السهل، لأنه يحتاج إلى نظام محكم وناموس دقيق، فتارة تكون الرياح شرقية وأخرى غربية، وتارة نسيما عذبا، وتوجيه وتوزيعها بين مختلف المناطق والأقطاب، بما يتلاءم مع مناخ كل مكان، يعدّ أمرا خارقا يستحق منا إعادة النظر فيه، ومعنى التصريف كما يقول الشعراوي: ((التحويل والتغيير أيتوجيه الرياح إلى نواح مختلفة سواء إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب))[٤٨].

أما سيد قطب فيرى الإعجاز في تصريف الرياح في كونها ((تمضي شمالا وجنوبا وشرقا وغربا

منحرفة ومستقيمة دافئة وباردة، وفق النظام الدقيق المنسوق المقصود في تصميم هذا الكون العجيب))[٤٩].

ومن الدلالات التي تمنحها الآيات الكونية:

١. تتجلى لنا من خلال هذه الآيات قدرة الله تعالى في خلق الكون وخلق الإنسان.

٢. إنّ هذه الآيات اشتملت على مشاهد ربما ذهبت ربما ذهبت بجمالها في أعيننا، ولكن مع قليل من التأمل ندرك مدى عظمتها.

٣. إنّ الإنسان لو تأمل نفسه فقط، لشعر بمدى ضعفه وعجزه، فهو غير قادر على فهم ديناميكية جسده، وبالتالي يذعن لله تعالى ويدرك عظمته.

٦. آيات النجوم:

قال تعالى:﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾[٥٠].

والقسم في القرآن الكريم يأتي من قبيل التنبيه للمسلمين خاصة وللناس عامة إلى أهمية الأمر المقسم به؛ لأن الله تعالى غني عن القسم لعباده.

ويعجب الإنسان من هذا القسم المغلظ بمواقع النجوم، والنجوم من أعظم خلق الله في الكون، فالنجوم عبارة عن كتلة من الغاز، ملتهبة، مشتعلة مضيئة بذاتها، تظل شعلتها لملايين السنين دون أن تنطفئ بسبب عدد من التفاعلات النووية المعروفة باسم "عملية الاندماج النووي" تتحد فيها نوى العناصر الخفيفة، مثل غاز الإيدروجين، مع بعضها البعض لتكوين نوى العناصر الأثقل بالتدريج فلماذا قسم الله تعالى بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها؟.

البدوي على عهد الرسول k يسمع هذا القسم فيقول: النجوم مواقعها عظيمة فتستحق أن يقسم بها، لعبد تلك المواقع، والآن ندرك عمق أكبر في هذا القسم.

حقاً أن مواقع النجوم أمر مبهر للإنسان، فالمسافة بيننا وبين الشمس تقدر بحوالي (١٥٠)مليون كيلومتر. وأقرب نجم ألينا خارج المجموعة الشمسية يبعد عنا بمسافة تقدر بحوالي (٤.٣)من السنين

الضوئية، والسنة الضوئية تقدر بحوالي (٩.٥) مليون كيلومتر.

فلماذا نجد ربنا تبارك وتعالى اقسم بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم ذاتها على عظم شأنها؟.

الجواب: الذي أدركه العلماء منذ سنوات قليلة للغاية، أن الإنسان من فوق سطح هذه الأرض لا يمكن له أن يرى النجوم على الإطلاق، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم.

ويقول العلماء يقولون أن أقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنا (٤.٣) سنة ضوئية، وإذا انبثق منه الضوء فأنه يصلنا بعد أكثر من خمسين شهراً، يكون النجم خلالها قد تحرك من مكانه لمسافات شاسعة.

ليس هذا فقط، بل هناك نجوم ما زالت تتراءى لنا مواقعها في صفحة السماء في ظلمة الليل، واثبت العلم أنها انفجرت منذ آلاف السنين ولا وجود لها الآن.

وهذا من رحمة الله تعالى بنا، لأن الإنسان لو نظر إلى النجم مباشرة لفقد بصره، وهذه لمسة قرآنية مبهرة، وآية من آيات الله سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فإن النجوم التي نراها في ظلمة السماء هي مجرد مواقع مرت بها النجوم وغادرتها[٥١].

وقوله تعالى:﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ *الْجَوَارِي الْكُنَّسِ**﴾[٥٢].

يتحدث العلماء الآن عما يسمونه باسم الثقوب السوداء (الثقوب السود) وهي حالة من حالات النجوم المبهرة، تتكدس فيها المادة تكدساً شديداً فلا يستطيع الضوء أن ينفلت من عقالها وهي مضيئة، وإذا سقط عليها الضوء تبتلعه ولا ينعكس من سطحها فلا ترى، ولكن تدرك آثار جاذبيتها الشديدة ومجالاتها المغناطيسية الفائقة القوة، فتتحدد بذلك مواقعها في داخل مجرات السماء.

وهذه هي نهاية النجوم العملاقة ولا يزال بعض العلماء التجريبيين مترددين في فهم هذه القضايا، وهي واضحة وضوح الشمس في كتاب الله الذي يذكر لنا أن حياة النجم (العملاق) تمر بهذه المراحل حتى يطمس أي ينطفئ نوره بالكامل فلا يرى، وهي حقيقة لم يدركها العلم إلا في أواخر القرن العشرين، ولا يزال كثير من أهل العصر يجهلونها"[٥٣]".

٧. آيات كونية أخرى:

قال تعالى:﴿**فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾[٥٤] وهذا موقف من مواقف الآخرة، وهول من أهوالها تنشق فيه السماء وتتصدع فتتحول إلى ما يشبه الورد الأحمر أو الايم الأحمر من شدة الحرارة، كما قال ابن عباس (رض) أو تنصهر كالدردى [أي ما يركد في أسفل كل مائع كالشراب والادهان] فتكون كالمهل أو كالدهان الذائب الأحمر اللون في صفار الدهن، ولكن كيف يتم ذلك؟ هو في علم الله سبحانه وتعالى . لأن الآخرة لها من القوانين أو السنن ما يغاير قوانين وسنن الدنيا.

ولكن من رحمة الله . تعالى . بنا انه ابقى لنا من الشواهد الحسية والظواهر المرئية في صفحة الكون ما يؤكد على إمكانية حدوث كل ما أخبر عنه في كتابه الخاتم عن مظاهر الآخرة ومنها تصدع السماء وانشقاقها حتى تصير وردة كالدهان.

قال تعالى:﴿**بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ الْغَالِبُونَ**﴾[٥٥].

قال قدامى المفسرين: إنقاص الأرض من أطرافها هذا له معنى من اثنين: أما موت العلماء، لأنه يؤدي إلى فساد عظيم في الحياة، أو انحسار دولة الكفر بالفتوحات الإسلامية فهذا إنقاص للأرض من أطرافها. وقال بعض المفسرين غير ذلك.

ولكن يأتي العلم الحديث ليؤكد على حقيقة كونية مبهرة مؤداها أن الأرض تنكمش باستمرار تنكمش على ذاتها، من كل أطرافها أو من كل أقطارها وسبب الانكماش الحقيقي، هو خروج الكميات الهائلة من المادة والطاقة على هيئة غازات وأبخرة ومواد سائلة وصلبة تنطلق عبر فوهات البراكين بملايين الأطنان بصورة دورية فتؤدي إلى استمرار انكماش الأرض، ويؤكد العلماء أن أرضنا الابتدائية كانت على الأقل مائتي ضعف حجم الأرض الحالية.

فعملية الانكماش مستمرة إلى يومنا هذا، وهذه حقيقة كونية لم يعرفها العلماء إلا منذ سنوات قليلة، ويعجب الإنسان على إيرادها في كتاب الله بهذه الصياغة المبهرة من قبل ألف وأربعمائة من السنين حيث يقول الحق . بارك وتعالى .:﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ**

لِحُكْمِهِ﴾[٥٦] [٥٧].

الخـاتمة:

توصل البحث إلى جملة من النتائج لعل أهمها ما يأتي:

١. بحث العلماء العرب في إعجاز القرآن الكريم من حيث جماله الذي يتولد من الاستعمال الخاص للغة، وكان هذا البحث يلبي مطالب عصورهم، وبقي علينا البحث في وجوه الإعجاز الأخرى التي تواكب عصورنا، وتثبت أنّ القرآن الكريم يصلح لكل زمان ومكان لأنّ علومه لم تتعارض مع ما ورد فيه من ذكر لآيات لم تكن معروفة من قبل، وكأنّها تتحدى العقل المعاصر والتكنولوجيا الحديثة.

٢. إنّ وجه إعجاز القرآن الكريم يتمثل في الأثر في المتلقي، وهو أن قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس، وميلاً إلى القلوب، وغيره من الكلام وان كان مستحسن النظم، مستعذب النثر، يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردد، ولكن هناك أناس بحاجة إلى أدلة من نوع آخر نحو الدليل العلمي الذي يمثل تنبؤا مستقبليا أيده العلم الحديث، ومنه ما لم يتحقق بعد، ومنه ما أصبح تاريخا وكان يمثل المستقبل.

٣ـ هناك إعجازات كثيرة وردت في بعض الآيات الكريمة لغرض الهداية، تعبر عن أنه من لدن حكيم عليم ومن ذلك الإعجاز التشريعي، شريعة نبينا محمد k خاتمة الشرائع، وواجب على البشرية كلها الالتزام بها في أحكامها.

٤ـ الإعجاز العلمي ولاسيما في الفلك الذي أيدته العلوم الحديثة، ولم تكن معروفة آنذاك وأهمها ظاهرة التوسع في الكون والثقوب السوداء وتعاقب الليل والنهار وحركة الريح وغيرها تدلّ على عظمة الخالق وهي دليل قوي على وجوده وحكمته، ومن هنا تأتي أهمية البحث في الإعجاز العلمي أو التفسير العلمي لأنّه يصب في النهاية بهداية الإنسان الذي يتغلب عقله وحواسه على وجدانه وعواطفه، فهي خير دليل على أنّ القرآن الكريم معجزة باقية على مرّ العصور.

الهوامش:

الهوامش:

(1) سورة آل عمران: ٧.[1]

(2) اللغة والحواس، محمد كشاش:

(3) ينظر: القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد عرجون:٧٤٢.

(4) رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، إخوان الصفا: ١٢٤/٤-١٢٥.

(5) القرآن العظيم هدايته وإعجازه، محمد عرجون: ٢٧٥.

(6) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة(فسر):٥٥/٥.

(7) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٩٢/٢.

(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي:٢٨٤/٢.

(9) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٢٨٤/٢، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٧٤/٢.

(10) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١٣/١-١٤.

(11) البرهان في تفسير القرآن، الزركشي: ١٣/١، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ١٧٤/٢.

(12) مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني: ٣/٢.

(13) مقاييس اللغة، ابن فارس:١٠٩/٤-١١٠.

(14) الدين والعلم، المكتبة الشاملة (خطابات): ٢/١.

(15) ينظر: التفسير العلمي في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر: ٦٥.

(16) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي: ٤٧٤/٢.

(17) لسان العرب، ابن منظور: ٣٦٣/١٣.

(18) مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٤٨/٥.

(19) سورة البقرة:٢٨٠.

(20) سورة مريم: ٢٩.

(21) سورة النساء: ١٧.

(22) المصباح المنير، الفيومي: ١٨٨/٨.

(23) ينظر: الكون، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.wikipedia.org

(24) الكون، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.clm404.tripod.com

(25) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (عقب).

(26) تفسير الشعراوي، محمد متولي:١/٦٨٧.

(27) سورة يس: ٣٨.

(28) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، يوسف الحاج أحمد:٣٠٦.

(29) سورة القيامة: ٧-٩.

(30) سورة القيامة: ٩.

(31) سورة النجم ٣-٥.

(32) سورة الرعد:٢.

(33) سورة يس:٤٠.

(34) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١٢٧/٢٥.

(35) أسرار الكون، السيوطي: ٦/١.

(36) سورة الكهف:٥١.

(37) سورة الذاريات: ٤٧.

(38) انظر:من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار: ٣٦-٣٩.

(39) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(40) انظر:من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار: ٤٤، ٥٤.

(41) سورة الأنبياء:٣٠.

(42) الحركة والحياة، يحيى جبر، بحث متاح على الموقع الالكتروني:
www.blogs.edu/staff/yahya-jaber/article/artical-18

(43) سورة الرحمن: ١٠.

(44) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة(وضع).

(45) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة (سخر).

(46) سورة الملك:١٥.

(47) لسان العرب، ابن منظور: مادة (روح).

(48) تفسير الشعراوي: ٦٩١.

(49) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١٣/٢٥.

((50)) سورة الواقعة: ٧٥-٧٦.

[51] انظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار: ١/٣٨-٤٠.

[52] سورة التكوير: ١٥-١٦.

[53] انظر:من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار: ١/٦٠-٦١.

[54] سورة الرحمن: ٣٧-٣٨.

[55] سورة الأنبياء: ٤٤.

[56] سورة الرعد: ٤١.

[57] انظر: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار: ١/٦٥، ٧٥-٧٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: الكتب:

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط١(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٢. أسرار الكون، السيوطي.

٣. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٢(١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين أبو عبد الله محمد الزركشي(ت٧٩٤هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٥. تفسير الشعراوي، محمد متولي.

٦. التفسير العلمي في الميزان، د. أحمد عمر أبو حجر.

٧. التفسير والمفسرون،محمد حسين الذهبي، اوند للطباعة والنشر، ط١، (د.ت).

٨. الدين والعلم، المكتبة الشاملة (خطابات).

٩. رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، إخوان الصفا.

١٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت . القاهرة،الطبعة الشرعية(٢١٤)، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

١١. القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد عرجون.

١٢. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان،(١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

١٣. اللغة والحوار.

١٤. اللغة والحواس، محمد كشاش.

١٥. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (توفي في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية،بيروت، مطبعة أميران، قم، ط٣،(د.ت).

١٦. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، لبنان، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

١٧. من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د.زغلول النجار.

١٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني.

١٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، دار بن حجر، دمشق، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

ثانيا: المواقع الالكترونية:

٢٠. الحركة والحياة، يحيى جبر، بحث متاح على الموقع الالكتروني:

www.blogs.edu/staff/yahya-jaber/article/artical-18

٢١. الكون، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.clm404.tripod.com

٢٢. الكون، بحث متاح على الموقع الالكتروني: www.wikipedia.org